أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقال تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير وقال تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أي إنما لبثتم فيها قليلا لو أنكم كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي ٥

ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون
الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع
إلا همسا ٥

يقول تعالى ويسألونك عن الجبال أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول فقل ينسفها ربي نسفا أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرا فيذرها أي الأرض قاعا صفصفا أي بسطا واحدا والقاع هو المستوي من الأرض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذي لا نبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم ولهذا قال لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أي لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذلك قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له أي يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلى الداعي حيث أمروا بادروا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر قال محمد بن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوي السماء وتتناثر النجوم ويذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يأمونه فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له لا يميلون عنه ٥ وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله وخشعت الأصوات للرحمن

قال

قال ابن عباس يعني وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فلا تسمع إلا همسا الصوت الخفي وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير فلا تسمع إلا همسا الحديث وسره ووطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر وهو مشيهم في سكون وخضوع وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال وقد قال تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ٥

يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له
قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

يقول تعالى يومئذ أي يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أي عنده إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا كقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقوله وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال آتي تحت العرش وأخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله وفي الحديث أيضا يقول الله تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان الحديث وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي يحيط علما بالخلائق كلهم ولا يحيطون به علما كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وقوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به وقوله وقد خاب من حمل ظلما أي يوم القيامة فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء

Copyright King Saud University